

المذاهب الفكرية المعاصرة

CONTEMPORARY INTELLECTUAL SCHOOLS OF THOUGHT

1- SALMAN HABIB HASAN ZAI

Research Scholar, Jaama Abi Bakr
Email: salman8160as35@gmail.com

Hasan, Salman “**CONTEMPORARY
INTELLECTUAL SCHOOLS OF THOUGHT**”
Al-Raheeq International Research Journal Vol 3, Issue.2
(July-December, 2024). Pg. No: 34-52

Journal Al-Raheeq International research
Journal
**Journal
homepage** <https://alraheeqirj.com>
Publisher Al-Madni Research Centre
License: Copyright c 2023 NC-SA 4.0
www.alraheeqirj.com
Published online: 2024-12-27
ISSN No:
Print version: 2959-7005
Online version: 2959-7013



المذاهب الفكرية المعاصرة

**CONTEMPORARY INTELLECTUAL
SCHOOLS OF THOUGHT**

Abstract:

School of thoughts have gained great importance in the present era. The different school of thoughts are the intellectual and philosophical movements of the society that influence people's lives and determines the social developments of the society. Now there are number of school of thoughts in the world, based on different beliefs, principles and ideas. These schools of thoughts are classified in to religious, philosophical and cultural aspects. For understanding societal trends and future directions, it is essential to understand the contemporary school of thoughts and their impacts on the society. It requires deep research and comprehensive analysis to cover the different views and principles of these schools of thought, which reflect the intellectual movements and challenges of the time and create new opportunities. Therefore, the purpose of this research is to analyze the current schools of thought, to clarify their foundation, evolution and social impact.

Keyword: school of thoughts, intellectual, philosophical, contemporary, challenges.

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، أظهر الحق بالحق وأخزى الأحزاب، وأتمّ نوره، وجعل كيد الكافرين في تباب نعمده تبارك وتعالى على المسببات والأسباب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من المؤاخذه والعتاب ... ونسأله السلامة من العذاب وسوء الحساب، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المستغفر التواب. ... وبعد:

تحظى المذاهب الفكرية المعاصرة بأهمية كبيرة في عصرنا الحديث، إذ تمثل تيارات فكرية وفلسفية تؤثر على حياة الناس وتوجه التطورات في المجتمعات. كما يشهد العالم اليوم تنوعاً هائلاً من المذاهب الفكرية المعاصرة التي يتبناها الناس في مختلف أنحاء العالم، وتتراوح بين المذاهب الدينية والسياسية والفلسفية والثقافية. إن فهم المذاهب الفكرية المعاصرة وتحليل تأثيراتها يعتبر أمراً ضرورياً لفهم المجتمع وتوجهاته المستقبلية. يتطلب ذلك دراسة عميقة وتحليلاً شاملاً للمذاهب الفكرية المعاصرة، والتي تعكس رؤى ومبادئ مختلفة، وتعكس المذاهب الفكرية المعاصرة تحديات وفرصاً جديدة، وتشكل مصدراً للإلهام والتحفيز للبحث والتفكير. من هنا، يهدف هذا البحث إلى استكشاف وتحليل المذاهب الفكرية المعاصرة وتوضيح أسباب نشأتها وتطورها وتأثيرها على المجتمعات.

تأريخ نشأة المذاهب الفكرية المعاصرة

لقد نشأت وانتشرت المذاهب الفكرية المعاصرة في الغرب أولاً، ثم امتدت إلى مختلف شعوب العالم، ثم زحفت بألوانها ودساتيسها إلى الأمة الإسلامية، وكانت أوروبا موطنها المضيف التي هيأت لها ما لم تهئ لغيرها من أسباب الاندفاع إلى الثورات العارمة على كل الأوضاع والمعتقدات نتيجة أحوال تعيسة أولدتها أسباب مجتمعة أدت إلى ظهور مذاهب فكرية عديدة. ومن تلك الأسباب ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي.

من الأسباب الخفية لانتشار المذاهب الفكرية في الغرب:

- 1- فشو الجهل والخرافات الجاهلية والبعد عن الدين الصحيح.
 - 2- سوء الأحوال في الحياة الأوروبية المتمثلة في الحالة الاجتماعية.
 - 3- حب السيطرة والتوسع وانتشار مواضع النفوذ.
 - 4- مكائد اليهود وحكهم المؤامرات لإثارة الفتن في العالم الغربي لتغيير كل المفاهيم السائدة في ذلك الوقت وتحطيم كل ما كان معاديا لليهود والانتصاف من كل من أسهم بأي نوع من الأذى لليهود حتى تم ما كانوا يخططون له فقامت الثورات التي تسفك فيها الدماء والثورات التي يداس لهم فيها الدين وتداس الأخلاق وجميع النظم المخالفة لليهود وواقع الغرب اليوم أقوى شاهد على هذا.
 - 5- إحساس الأوروبيين التخلف الذي كانوا يعيشونه والغبن الفاحش الذي كانوا يعاملون به وكان من الأسباب التي أيقظتهم من غفلتهم هو اتصال الغربيين بالإسلام عن طريق طلب العلم في البلدان الإسلامية واحتكاكهم كذلك بالمسلمين عن طريق التجارة.¹
- ولهذا السبب قد شلت الحركة الفكرية في أوروبا زمنا طويلا إلى أن جاء القرن الخامس عشر وبدأ بحركة الإصلاح «مارتن لوتر» وأخذ المفكرون ينفذون عن الناس غبار جاهلية الكنيسة وطغيانهم فنادى الكنيسة
- سنة 1483 م - 1546م واعتبر صكوك الغفران من وسائل الذل والعبودية التي يجب أن تنتهي ثم جاء بعده «كالفن» سنة 1509 م - 1564 م على نفس الاتجاه.... الخ، ثم اندلعت الثورة الفرنسية عام 1789 م وهي: انتفاضة شعبية انطلقت من فرنسا ضد الظلم والطغيان اللذين كان رجال الكنيسة ورجال السياسة

¹ السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، نسخة إلكترونية منشورة على موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.com، سنة 1433 هـ، ج1/ص3-9.

يمارسونها ضد الشعوب الأوروبية وكان شعارها: (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).

آثار الثورة الفرنسية:

- 1- التأكيد على إنهاء سلطة الدين وتقييد تلك السلطة بجدران الكنائس.
- 2- القضاء على السلطة والحكم الجائر للملوك والأمراء والإقطاعيين.
- 3- إعلان ما سمي بحقوق الإنسان الذي اشتمل على ما يلي:
 - حق الحرية.
 - حق التملك.
 - حق المساواة.
 - حق الإنسان في الدفاع عن نفسه.²

وبدأت الأفكار الغربية تتوالى بزحفها إلى العالم عامة وإلى الحضارة الإسلامية خاصة إلى يومنا هذا.

لكن الأمر الغريب هو تطفل بعض من المسلمين على موائد الغرب الآسنة ليبحث فيها عن النجاة والسعادة في الوقت الذي يرى بأعينه ما يعانیه الغرب من الشقاء والحرمان والحياة اليائسة

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾³ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَتَّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾⁴

² بتول برناوي، مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة (406)، نشر المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، عام 1437 هـ - 1438 هـ، ص 7-9.

³ القرآن الكريم: 50/4.

⁴ القرآن الكريم: 139/4.

أشهر المذاهب الفكرية المعاصرة:

الإلحاد (Atheism)

الإلحاد لغة: الميلُ عن القصدِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: أَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ إِذَا تَرَكَ قَصْدَ مَا أَمَرَ بِهِ وَمَالَ إِلَى الظلم.⁵

واصطلاحاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: إنَّ الإلحاد المحض، نفي الصانع بالكلية، وأنَّ هذا العالم الموجود ليس له صانع.⁶ ولقد عرفه من المعاصرين ابن حَبَنَكَةَ -رحمه الله تعالى- فقال: الإلحاد وهو إنكار وجود خالق لهذا الكون متصرف فيه يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته.⁷

معنى الإلحاد (Atheism) عند علماء الغرب المعاصرين: ليس هناك إجماع بين الغربيين المتأخرين والمعاصرين على تعريف الإلحاد، ولكنَّهم عبروا عن الإلحاد بكلمات متشابهة مشتقة من اللفظ اليوناني (ATHEOS) ، وتتكون هذه الكلمة من مقطعي (A) ، بمعنى فقدان أو غياب و (THEOS) ، بمعنى الإله، ويكون معنى الكلمة (ATHEOS) نفي الإله أو نفي الله وتطلق على الشخص الذي لا يعتقد بالإيمان بالله، سواء نفي وجوده، أم لا.⁸

⁵ الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت370 هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الأولى سنة 2001 م، ج4/ص244.

⁶ ابن تيمية النميري، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني (ت728هـ)، جامع المسائل، تحقيق محمد عزيز شمس، نشر دار عطاءات العلم (الرياض) ، الطبعة الثانية سنة 1440 هـ -2019، ج4/ص450.

⁷ الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَةَ الدمشقي (1425هـ)، كشف زيواف في المذاهب الفكرية المعاصرة، نشر دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية سنة 1412هـ -1991م، ص433.

⁸ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1984هـ، ج1/ص219.

تأريخ الإلحاد:

يظن البعض أن الإلحاد بدأ بعد ظهور داروين بنظرية التطور، ولكن هذا الاعتقاد خاطئ تماماً، فالإلحاد موجود في التاريخ القديم. أول هذه الحركات: المسجلة تاريخياً كانت في الهند بالتقريب (1000 ق.م.)، حيث كانت أول علامات الشك في النص المكتوب "Rig-Veda" أحد المخطوطات المقدسة للديانات الهندية: من يعلم عن يقين؟ من يعلنها هنا؟ متى ولد ومتى تكون هذا الخلق؟ الآلهة خلقت بعد ميلاد هذا الكون. إذن من يستطيع أن يعلم من أين نشأ الكون؟ لا أحد يعلم كيف تكون الخلق هل هو الإله الأعظم من صنع العالم أم لا؟ هو من يفحص الكون من السماوات العليا، هو من يعلم، أو ربما هو لا يعلم". وبعد ما يقارب من 500 عام أخرى (500 ق.م) ظهرت البوذية، حيث حاول بوذا (483-563 ق.م.) أن ينقل الفكر من التركيز على الآلهة، والتي كان عددها قد جاوز الآلاف في الهندوسية، إلى التركيز على المعاناة الإنسانية والخلص منها. وعندما سئل بوذا عن وجود الله لم يجب، فالبوذية لا تختص بالآلهة بل بالمعاناة البشرية وبالتالي لا تحمل أي إجابة عن الله، وهذا ما يصنف في العصر الحديث باللاأدرية "agnosticism".

وفي العصر نفسه تقريباً: كانت الفلسفة اليونانية في كل أنحاء القارة الأوروبية، ففي حوالي عام 420 ق.م. ظهرت النزعة المادية في اليونان، وبدأ مبدأ الذرات كعنصر أساسي للكون في الظهور على يد ديموقريطس "Democritus" والذي دفع بنظريته إلى حد أنه ألغى وجود الآلهة في عالم مادي بحت، وقيل أيضاً: إنه من المؤسسين لعلوم الفلسفة والرياضيات ونظرية المعرفة. وبحلول القرن الرابع قبل الميلاد (270 - 341 ق.م.) ظهر في اليونان إبيقور "Epicurus" والذي يعتبر أول فيلسوف ملحد ظاهر، وهو الذي أنشأ ولأول مرة «مجادلة الشر» التي

تقول: "هل الله يريد أن يمنع الشر ولكنه لا يستطيع؟ إذن فهو ليس كلي القدرة. هل هو قادر على منع الشر ولكنه لا يريد؟ إذن فهو خبيث وشرير النزعة. هل هو قادر ويريد منع الشر؟ إذن من أين أتى الشر؟ هل هو غير قادر ولا يريد منع الشر؟ إذن لماذا نطلق عليه إله؟" وهذا مما قاده بعد ذلك إلى تبني إلهين، أحدهما للخير والآخر للشر، ويقال إنه لم يؤمن في حياة بعد الموت. وربما كان هذا بداية الحركة الفكرية التي قادت زرادشت في فارس إلى الخروج بديانة الصراع بين إلهين إله الخير وإله الشر «أهور-مزدا» «أهرمن» .

وفي العصر الحديث: ومنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن التاسع عشر ومع التطور العلمي والتكنولوجي في الغرب بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم. هذا العصر كان عصر كارل ماركس وتشارلز داروين وفريدريك نيتشه وسيغموند فرويد الذين بدأوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها. واستمرت نظرياتهم إلى يومنا هذا.

دور العالم الإسلامي: أدرك العلماء المسلمون فكرة الإلحاد في العصور الوسطى وكثيراً ما هاجموا غير المؤمنين، على الرغم من أنهم لم يتمكنوا من تسمية أي أشخاص ملحدين. كان ينظر إلى الأشخاص الذين اتهموا بالإلحاد عادة على أنهم زنادقة وليسوا ملحدين. ومع ذلك وجد بعض المفكرين الملحدين مثل ابن الرواندي: أحد الشخصيات البارزة في القرن التاسع، والذي انتقد فكرة النبوة الدينية بما في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم، وأكد أن العقائد الدينية ليست مقبولة بالنسبة للعقل ويجب رفضها. ومن بين المنتقدين الآخرين للدين في العالم الإسلامي الطبيب والفيلسوف أبو بكر الرازي (865-925)، والشاعر المعيري، والعالم أبو عيسى الوراق (القرن التاسع). على سبيل المثال: كتب المعيري إن الدين كان

«حكاية اخترعها القدماء» وأن البشر نوعان: الذين لديهم أدمغة دون دين، والذين لديهم دين دون أدمغة.⁹

أنواع الإلحاد الأساسية :

1. **إلحاد في الله - عز وجل -** (وهو إنكار وجود الخالق)، والشك فيه، يدل عليه قوله تعالى: **قَالَتْ رَسُولَهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... الآية** ﴿10﴾¹⁰، وقوله سبحانه: **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴿38﴾¹¹.

2. **إلحاد في آيات الله - عز وجل -** (الكونية والشرعية) ويراد به: معارضة القرآن باللغظ والصفير به... الخ، وقال بعضهم: يراد به كذبهم آيات في الله... وقال آخرون: يراد به الخبر عن معاني آيات الله... وقيل: أريد به الشرك والكفر، وكل هذه الألفاظ قريبيات المعاني.

3. **إلحاد في أسمائه - عز وجل -** وكان إلحاد كفار قريش، لأنهم عدلوا بها عما عليه وسموا بها ألتهم نحو: (اللات) من اسم الله الذي هو (الله).... الخ.

أنواع الإلحاد باعتبار وجود الله أو عدم وجوده:

⁹ الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه - دراسة تحليلية-، لعبد العزيز سعد المحمد .
- موسوعة الفلسفة، للدكتور عبد الرحمن بدوي، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1984.

- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الرابط: تاريخ الإلحاد (https://ar.wikipedia.org/wiki).
¹⁰ القرآن الكريم: 10/14.

¹¹ القرآن الكريم: 38/28.

1. **الإلحاد شامل:** وهو إنكار وجود الخالق سبحانه.
2. **الإلحاد جزئي:** وهو ادعاء الإيمان بوجود الخالق مع إنكار وحي الله ولوازم ذلك، بل إنكار الدين كله، مثاله: مشركو العرب ومن هم على شاكلتهم.¹²

الإلحاد الجديد (New Atheism):

وقد ظهر اليوم ما يسمى بالإلحاد الجديد وهو (موجة إلحادية جديدة) ظهرت في بلاد الغرب، وأصحاب هذا الإلحاد لم يدعوا إلى إنكار الإله فحسب؛ بل ويهاجمون الداعين لإثبات وجود الإله الخالق لا سيما اتباع الدين الإسلامي، وما نراه اليوم من ظهور ما يسمى (الإسلام فوبيا) ، وشدة عداوتهم للمسلمين في بلاد الغرب والشرق لهو دليل واضح على تطور الإلحاد، وهو ما يطلق عليه بالإلحاد الجديد. فالإلحاد الجديد يتصف بطبيعة عدائية متعاضمة، وقد ظهر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في سنة (2001 م).¹³

أهداف الإلحاد والملحدين:

1. محاولة التشكيك في وجود الله سبحانه.
2. دعوة الناس لاتباع الشهوات.
3. الدعوة إلى الحرية، ولتجرد عن التعاليم الإسلامية.
4. زعزعة الأمن، وخاصة في البلدان الإسلامية.
5. الدعوة إلى تحكيم العقل في الأمور.

¹² الحربي، علي بن عتيق الحربي، رد القرآن الكريم على الإلحاد والملحدين، نشر مجلة بحوث كلية الآداب، بحث في جامعة طيبة -قسم الدراسات الإسلامية- المملكة العربية السعودية، ص 1019.

¹³ الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية، نشر مركز الأمة للدراسات والتطوير، منشور على موقع الأمة للدراسات والتطوير الرابط: <https://alummacenter.com>

الاستعمار (colonization)

الاستعمار لغة: استعمر يستعمر، استعمارًا، فهو مستعمر، والمفعول مستعمر، استعمر الأرض: عمرها، أمدها بما تحتاج من الأيدي العاملة لتصلح وتعمّر.¹⁴

تنبيه: مصطلح (الاستعمار) من الناحية اللغوية ذو دلالة إيجابية؛ حيث يشير إلى "التعمير" كما قال تعالى: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا... الآية¹⁵، وفكرة التعمير هذه تتنافى مع الأطماع التي يسعى الاستعمار إليها، والأدق أن يطلق عليه مصطلح "الاحتلال".¹⁶

اصطلاحًا: هو "تعبير أُطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر؛ لنهب ثروته واستغلال أرضه، وتسخير طاقات أفرادِه لصالح المستعمرين... ويرافق ذلك اتخاذ مخططات تحويل هذا الشعب عن دينه ومفاهيمه ومبادئه وأخلاقه وسلوكه الفردي والاجتماعي إلى ما عليه دولة الشعب الغالب المستعمر من مبادئ ونظم وعادات إذا كان بين الغالب والمغلوب تباين في ذلك".¹⁷

تأريخ الاستعمار:

يرى الغرب أنهم في الذروة من البشرية، وأنهم يتربعون على قمة الإنسانية، بينما الآخرون الأغيار ليسوا بشراً، حيث نظرية دارون في التطور امتدت إلى

¹⁴ أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ،

ج2/ص1551

¹⁵ القرآن الكريم: 61/11.

¹⁶ إيمان فتحي محمد، الاستعمار: الأنواع والدواعي، بحث نشرته مجلة الدراسات العربية-كلية العلوم_جامعة المنيا،

ص2159.

¹⁷ المصدر السابق، ص 2161.

التفكير الاجتماعي والسياسي عندهم، فهم الذين يمثلون الإنسان الكامل بل "السوبر" .. وسواهم لم يتطوروا بعد عن مرحلة القرود. وفي أحسن الأحوال غادروها بقليل.

ولذلك فقد أخذ الغربيون على عاتقهم مهمة "إعمار" هذه البلاد التي لا يستطيع سكانها "البدائيون" إعمارها، واضطلعوا "بواجب" استغلال خيراتها الوفيرة التي لا يستحقها السكان الأصليون لتخلفهم وضعفهم، ولعل هذه الكنوز قد وجدت في المكان "الخطأ"، فقرر الغربيون "تصحيح الخطأ الإلهي!!" كما صرح بعض قادتهم. ولا بأس من حملات الإبادة والتطهير العرقي لهذه "الكائنات" التي قد تشكل عائقاً أمام المهمة النبيلة للقوات الغازية"، فقانون الغزاة يقرر أن البقاء للأقوى ولا مكان في هذا العالم للضعفاء. الغربيون عادة يرون أن التاريخ يبدأ من عندهم وينتهي عندهم، وكل وجود أو نشاط بشري قبلهم ليس بشيء.. ويكفي للتدليل على ذلك تبجحهم بأنهم هم مكتشفو القارة الأمريكية، علماً بأنها كانت مسكونة بعشرات الملايين عشية الوصول الأوروبي إليها... إن عبارة "اكتشاف" تعني السابق إلى الوصول، فكيف يستقيم هذا الزعم مع وجود كل هؤلاء السكان؟؟ إنها أرض بكر وسكانها البدائيون المتخلفون، ليسوا بشيء ولا يستحقون الحياة، وبقاؤهم عائق وحائل دون التقدم، ولذلك فقد طالتهم حملات الإبادة، ليبدأ التاريخ من لحظة وصول الجنس الأبيض، من المتحضرين المتمدنين حملة مشاعر الحرية والتقدم، وليطمس ما سواه. يمكننا القول إنّه على مدار القرون الخمسة الماضية، كان الاستعمار الركيزة الأساسية للتاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي الحديث. ويمكن القول أنّ الخط الزمني التاريخي للقوة الاستعمارية الأوروبية (التي تعرّف على نطاق أوسع على أنها "غربية" وتشير عادةً إلى المستعمرات البريطانية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية، والبرتغالية) .

في عام 1452م: (قبل رحلة كولومبوس الأولى بأربعة عقود تقريبًا)، أصدر البابا (نقولا الخامس) وثيقة بابوية أعلنت بشكل أساسي الحرب ضد جميع غير المسيحيين، وأجازت وحفّزت الغزو والاستغلال، أي: الاستعمار. وفي عام 1492م: جسّد كريستوفر كولومبوس، بدعم من الملكية الإسبانية، هذا النوع من الغزو، وعمل على تنفيذ فكرة أن السلب مرتبط ب "الاستكشاف".

وفي عام 1493: عززت وثيقة بابوية أخرى هذه الأيديولوجيا ومنحت إسبانيا الحق في احتلال الأراضي التي "اكتشفتها" والاستيلاء عليها، وأضيف تعديل لاحق مفاده أن هذا الحق في الغزو لا يمكن أن يتدخل في الأراضي التي سيطرت عليها قوى مسيحية أخرى في أوروبا. استند التوسع الأوروبي إلى "عقيدة الاستكشاف" هذه، وفي تكرارات مختلفة عبر التاريخ الطويل للاستعمار الأوروبي الأمريكي، شكلت (هذه العقيدة) الأساس الثقافي والمعرفي وكذلك المادي للهيمنة الاستعمارية. وبذلك اعتبرت السيادة الأبوية الأوروبية جميع الشعوب الأخرى غير بشرية ولا تستحق "الحق" في امتلاك أراضيها، أو السيطرة عليها، وحتى الحق في الحكم أو الوجود بحد ذاته. في نفس الوقت الذي تم فيه تطبيق هذه العقيدة الوحشية والإبادة الجماعية من قبل العديد من "المستكشفين" الأوروبيين، اتبعت الملكية الإسبانية تكتيكًا محليًا مشابهًا يتمثل بدموية محاكم التفتيش، إيدانا بنهاية "الإمبراطورية الإسلامية" في أوروبا وسقوط الأندلس¹⁸.

¹⁸ رنا بركات، الاستعمار، بحث علمي نشره معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان-جامعة بريزنت، ص2

- 5.

- إيمان فتحي محمد، الاستعمار: الأنواع والدواعي، بحث علمي نشرته مجلة الدراسات العربية- كلية

العلوم- جامعة المنيا، ص 2159-2161

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: على الشبكة، الرابط : <https://ar.wikipedia.or>

أهداف الاستعمار والمستعمرين:

- 1- إبعاد التعليم الإسلامي.
- 2- زرع ما يسمى بحرية الأخلاق، وإفساح المجال للمرأة حتى إنهم يجعلون من المرأة المحاربة للدين بطلة من الأبطال.
- 3- نشر أسلوب الحياة الغربية الإباحية.
- 4- نشر لغة المستعمر. الليبرالية (liberalism)

الليبرالية لغة: مصطلح أجنبي معرب من كلمة (liber) وهي كلمة لاتينية، معناها: "حرٌّ، مُتحرِّرٌ".¹⁹

اصطلاحاً: وهي مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها.²⁰

تأريخ الليبرالية:

اختلف الباحثون في تاريخ الليبرالية كمنتظم فكري، وذلك نابع من تنوع المفهوم وكثرة الاتجاهات الفكرية التي حسبت عليه، إذ يجري الحديث عن ليبرالية سياسية وأخرى اقتصادية وأخرى اجتماعية إلا أنها جميعاً تؤكد على حرية الفرد تبعاً لتنوعها.

¹⁹ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولى سنة 1429هـ - 2008م، ج3/ص2053.

²⁰ السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، نشر موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ج1/ص190.

فمن الباحثين من يرجع الليبرالية إلى العصور القديمة (اليونان) وبالتحديد إلى فكر السفسطائيين ويسمونها (الليبرالية القديمة)، ولاحظ عدد آخر من الكتاب أنه. وفي بداية القرن الثاني عشر تكونت في إيطاليا أنظمة سياسية مبتعدة عن النظام الإمبراطوري أو الملكي ونظم اقتصادية بعيدة عن الأقطاع، وتم تقسيم أراضي الدولة الإيطالية بين المدن وبات الاعتراف بسلطة المدينة أمر واقع لا يستطيع أحد مهما كانت منزلته من الاعتراض عليه، والملفت للنظر أن هذه المدن اعتمدت شكلا جديدا للحكم فحولت نفسها إلى جمهوريات مستقلة وقد كانت توافقة للحرية، إذ أصبحت كل جمهورية تحكم بواسطة ما عرف بـ (القناصل) يتغيرون كل عام بهدف تأمين شهوة السلطة المنضبطة وصيانة حرية الشعب ، وخلال النصف الثاني من القرن حدث تحول كبير في شكل الحكم إذ أبطل العمل بنظام القناصل وأوكلت إدارة المدينة أو الجمهورية إلى ما عرف بـ(البو دستا) وهو موظف من مدينة أخرى لضمان حياديته في أمر الرعايا، وكان يتمتع بسلطات شاملة وكانت سلطته محددة زمنيا بستة أشهر يظل مسؤولا أمام المواطنين وليس ملزم بإصدار قرارات سياسية بل إنه ملزم في نهاية ولايته للخضوع إلى تدقيق لأحكامه وإعماله قبل أن يجوز له الرحيل من المدينة، وقد تم تبني ذات النظام في كل الجمهوريات الإيطالية، من أجل تكريس مبدأ الحرية الذي لم يكن بمستوى من الوعي المدني غير أن مروجي فكرة (الحرية الفردية) .

إلا أن ما يعنينا هنا هو الليبرالية المحدثة التي تميزت عن جميع أشكال الليبرالية سواء قديمها أم ليبرالية إيطاليا من خلال تركيزها على الفرد وعلى الحياة السياسية، فذهبت الى أن السياسة صنعة ابتدعها الفرد وأن الحكومات ليست أمرا طبيعيا وإن كانت ضرورية، لأن الطبيعة هي حرية الإنسان التي توصف بأنها ليست مكتسبة وليست منحة من أحد وإن البشر متساوون جميعا، كان لظهور المدارس الفكرية الاقتصادية دور في تعزيز الليبرالية وظهورها كنظام.

من أبرز هذه المدارس الآتي:

المدرسة الميركنتالية: التي بدأت مع بدايات عصر النهضة في القرن السابع عشر، وتعتمد هذه المدرسة على أن أساس الاقتصاد هو الثروة المعدنية من معادن نفيسة وأن مكانة الفرد لا تتبع من خلال الطبقة التي ينتمي إليها بقدر ما يمتلك من أموال، إذ على الدولة أن تؤمن كل ما يحتاجه الفرد لتسهيل حصوله على المعادن.

المدرسة الفيزيوقراطية: نشأت في فرنسا، في القرن الثامن عشر، وعرفت بالمدرسة الطبيعية، وأطلق على مؤيديها الطبيعيين، لاعتقادهم بسيادة قوانين الطبيعة وأن النظام يستمد قواعده من العناية الإلهية التي ليست من صنع البشر وأن هذه القوانين والقواعد يمكنها أن تسري من تلقاء نفسها دون تدخل من البشر، وأن الأساس لهذا النظام هو الملكية الفردية والحرية الاقتصادية وشعار الفيزيوقراط: (دعه يعمل دعه يمر) وكان رأيهم أن تكون السلطة للملك مهمته توجيه الأفراد نحو النظام الطبيعية.

المدرسة الكلاسيكية: انبثقت هذه المدرسة على الأساس الذي وضعه الفيزيوقراطيين وتطورت في إنكلترا نتيجة للتوسع الاقتصادي الذي شهده القرن الثامن عشر، وجاءت ردا على المدرسة الميركنتالية بعد أن تطورت الرأسمالية التجارية إلى رأسمالية صناعية، فإذا كان علماء الاجتماع والسياسة يرون في جون لو كحجر الزاوية للفكر الليبرالي الغربي والذي رسخ للحريات السياسية للفرد، فإن الوجه الآخر للفكر الليبرالي مقترن بفكر مؤسس علم الاقتصاد والرأسمالية الحديثة (آدمسмит 1790 - 1723) في مؤلفه الشهير (ثروة الأمم) الصادر عام 1776، إذ ارتكز آدم سميث في نظريته على خلفية كون الثراء يأتي من خلال القضاء على الانغلاق الاقتصادي وتوسيع رقعة التجارة الدولية، أما العنصر الثالث، بالنسبة له فكان الإدارة المتوازنة للعدالة، ومن خلال هذه العناصر الثلاثة تستطيع السوق أن تنظم آلياتها بش كل طبيعي إذا ما تخلت الدولة عن سياساتها الحمائية وتركت آليات السوق لمصيره الحر المتوقع. تطورت هذه المدرسة على يد (ديفيد ريكاردو 1823

- (1772) تطورا جذريا، إذ أكد على ضرورة عدم تدخل الدولة بالتخطيط الاقتصادي وأن تترك الأعمال للأفراد، وضرورة الاهتمام بالفرد بدلا من المجتمع في تحليل السلوك، فضلا عن تأكيده على أن اللعبة الاقتصادية هي لعبة منافسة قوامها السوق الحر وميكانيكية الأسعار.

المدرسة الكينية: ارتبطت باسم مؤسسها كينز 1883 - 1946 وكتابه الشهير (النظرية العامة في التوظيف والفائدة والنقود) الذي يؤكد فيه على أن النظام الاقتصادي يكون دائما عند مستوى التوظيف الكامل وذلك من خلال حرية السعر التي من ضمنها الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة.

فضلا عن الدور الذي قدمته هذه المدارس في تطور الليبرالية كان الإسهام الفكري لجون لوك عامل مهم في صياغة الكثير من المنطلقات للمنتظم الفكري، إذ عملت مبادئ لوك ومن خلال كتابه (في الحكم المدني) تحديد المثل السياسية التي عرفت في غرب أوروبا باسم الفلسفة الليبرالية وهي المثل التي نادى بضرورة حماية الحريات والحقوق الفردية (حرية الفكر، والدين، والاجتماع، والرقابة على السلطة وحق الملكية وغيرها)، إذ يؤكد لوك لما كان البشر أحرارا ومتساوين ومستقلين بالطبع، استحال تحويل أي إنسان عن هذا الوضع وإكراهه للخضوع لسلطة إنسان آخر دون موافقته ويرسم لوك حدود السلطة بحيث لا تتعدى على حريات الأشخاص وممتلكاتهم لا يحق للسلطة العليا أن تنتزع شيئا من أملاك أحد دون موافقته... لذا تحتم ضرورة أن يكون لأفراد الشعب حق الملكية، وقد استلهم إعلان الاستقلال الأمريكي 1776 مقولة لوك عندما أكد (أن الناس قد خلقوا سواسية وأنه لا ينبغي للسلطة أن تسلبهم حقوقهم الطبيعية في الحياة والحرية والسعادة).

ورغم الثورات التي دعمت فلسفة لوك الليبرالية إلا أنه من الملاحظ أن الفلسفة التي سادت القرن التاسع عشر كانت في جوهرها فلسفة تجريبية نفعية أكثر

منها ثورية وقد سادت غرب أوروبا والولايات المتحدة ولكنها جعلت من إنكلترا مركزا لها، إذ أصبحت إنكلترا أعظم بلد أخذ بالتصنيع.²¹

وخلاصة القول: إن التسلسل التاريخي لظهور الفكر الليبرالي وانتشاره يوصف بأنه حلقات متشابكة لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى، إذ أن قيام حركة التنوير الأوروبية وتسلسلها المرحلي بدءا من العلمنة التي تعني تحرير العقل العلمي من سلطان الكنيسة، ومناداتها بإطلاق حرية العقل في التجريب والملاحظة بعيدا عن المسلمات الأولية المتناقضة مع النصوص الدينية ومن ثم عزل الإيمان الغيبي (الميتافيزيقيا) عن الواقع التجريبي المحسوس وتخليص العلم من سلطان الكهنوت الى التأكيد على الحرية الفردية وبناء نظام الحكم في ضوء ذلك، تمثل مسارات الفكر الليبرالي وتطوراتها.

أهداف الليبرالية:

- 1- فصل الدين عن الدولة حين يحكم البلاد.
- 2- افتتاح المدارس والجامعات الموالية لليبرالية.
- 3- إخضاع نظام البلاد للقوانين الوضعية.
- 4- إبعاد التعليم الإسلامي.
- 5- الدعوة للحرية، وعدم الامتثال لقوانين الدين والدولة.

زرع ما يسمى بحرية التعبير في المجالات المحظورة.
لقد مر بنا ما يدل على أن الإسلام دين ودولة ومنهج حياة، أصلح الله به جميع البقاع والأصقاع، وطور البشرية إلى أسمى درجات الرقي، ولم يتعارض يوماً

²¹ عبد الرحيم بن صمايل السلمي، الليبرالية نشأتها ومجالاتها.

- مروة خليل محمد مصطفى، القدرة التفسيرية للنظرية الليبرالية في عامل متغير .
- شهريار زرشناس، الليبرالية، نشر العتبة المقدسية-المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية .

مع أي تقدم وإصلاح، وكيف يتعارض مع العلم والتقدم وأول ما أنزل منه دعوة إلى العلم والقراءة؟! الإسلام نظم الحياة في قالب رباني ممنهج لا يحتاج إلا إلى التطبيق وحسب، وكفانا دليلاً على ذلك ما جناه أهله عندما طبقوا حدوده، وما نالهم من ذل وهوان واضمحلال عندما ضيعوا حدوده، هذا على العكس تماماً من الديانات الأخرى التي لا تصلح لأمر الدنيا، لذلك بحث الغرب الصليبي عن بديل لدينهم البابوي الوثني، فوجدوا ضالتهم في الديمقراطية فطبقوها على مجتمعهم، والحقيقة أن الدعوة إلى الديمقراطية في العالم الإسلامي ما هي إلا مشروع استعماري صرف، بينما يكمن الحل الحقيقي الذي ينهض بالعالم الإسلامي في العودة إلى تعاليم الإسلام بنقائنها وصفائها، وفي العمل من أجل تحقيق تغيير.

أخي القارئ: هل تريد رخاءً اقتصادياً، ونموً وتطوراً، وبركةً في الرزق؟ عليك بتطبيق شريعة الرحمن؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾²²، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا لَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾²³.

التوصيات:

وفقاً لما توصلت إليه من نتائج في دراستي لهذا الموضوع بموضوعية كاملة، أستطيع البرهنة على ضرورة الاستمساك بشريعتنا الإلهية التي تتصف ضمن ما تتصف به بالأخلاقيات والاتجاه بالإنسان إلى تحقيق شريعة الله تعالى في الأرض بتنفيذ مكارم الشريعة، يقول الأصفهاني: "ومكارم الشريعة هي الحكمة، والقيام

²² القرآن الكريم: 96/7.

²³ القرآن الكريم: 66/5.

بالعدالة بين الناس، والحلم والإحسان والفضل، والقصد منها أن تبلغ إلى جنة
المأوى، وجوار رب العزة تعالى"،²⁴ فلا وصية أفضل من التمسك بشرع الله.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International \(CC BY-NC-SA 4.0\)](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)

²⁴ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام - القاهرة، عام 1428 هـ - 2007 م، ص 83